

لقد مرّ فيما ذكرنا إن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية الذي اغتاله سليمان بن عبد الملك قد أوصى قبيل وفاته في الحُميمة الى محمد بن علي العباسي بإدارة اتباعه في الحركة التي انشأها لمقاومة الامويين، فكانت هذه الوصية هي بذرة الطمع التي حركت بنو العباس لتناول السلطة لذلك شرع في بث الدعوة الى خراسان سراً فانتشر الدعوة فيها وكان لهم الأثر الكبير هناك ومهم: زياد مولى همدان، وحرب بن قيس، وسليمان بن كثير، ومالك ابن الهيثم، وكان كبيرهم واميرهم أبو سلمة الخلال سليمان بن حفص، وقيل وفاته ألتقى محمد بن العباس سنة (١٢٢) هجري بأبي مسلم الخراساني الذي غيّر اسمه فسماه عبد الرحمن بن مسلم وتوسم فيه أنه صاحب الأمر الذي لاشكّ فيه، وسيكون هلاك بني امية على يده وأمر اتباعه وجميع الدعوة بالسمع والطاعة إلا أن قسم منهم رفضوا ذلك لحدائثة سن أبي مسلم الذي كان آنذاك في التاسعة عشر من عمره لكنهم قبلوا ذلك أمام إصرار محمد بن علي وتصميمه واوصاه باتباع ولده ابراهيم الامام ومن ثم أولاده أبو العباس السفاح وابي جعفر المنصور وتوفي محمد بن علي في نهاية سنة (١٢٥) هجري، فنشط ابراهيم الامام بالدعوة وأخذ يتحدث الى الناس بأهمية الثورة وإنقاذ المنكوبين ومشاركة البسطاء من الناس بالأممهم. وجدد ابراهيم الامام تأمير أبي مسلم على دعاة خراسان واوصاه بوصية تثبت نصّها لأنها تبين حقيقة ابراهيم هذا وقائده ابي مسلم الذي لقبه (أمير آل محمد) قال فيها: ((انك رجل منا أهل البيت فأحفظ وصيتي... وأما مضر فانهم العدو القريب الدار، فأقتل من شككت في أمره، ومن وقع في نفسك منه تهمة... وإن استطعت أن لا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فأفعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فأتهمه فاقتله)). وهكذا يصدر ابراهيم أمره بالقتل وإراقة الدماء في وصيته الدموية الصريحة هذه، ويعلق المؤرخ المقرئ عليهما بقوله: ((وتالله لو توجه أبو مسلم الى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك لما جاز أن يوي (ابراهيم) هذا، فكيف وانما توجه الى دار الاسلام وقتال أبناء المهاجرين والانصار)). وللأسف نفذ أبو مسلم هذه الوصية المرعبة بحذافيرها، حتى صار حجاج عصره، وقتل في سبيل تثبيت دعائم الحكم العباسي ما لا عد ولا حصر له من الناس.

يقول المؤرخون: بلغ عدد من قتلهم ابو مسلم في عهده ستمائة ألف، وقد اعترف هو بهذه الجرائم لما بدت المشاحنة بينه وبين المنصور فبعث عليه برسالة يقول فيها: (أما بعد فقد كنت أتخذ أخاك (السفاح) إماماً... وأمرني أن أخذ بالظنة وأقتل على التهمة ولا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمان حتمّ الله صوتها وسفكت دماء فرض الله حقها، وزويت الأمر عن اهله ووضعته في غير محله)). وقيل إن عدد ضحاياه في غير الحروب التي خاضها مائة الف قتيل، ولم يسلم منه حتى أصدقائه القدماء من الدعاة الذين رفضوا طاعته والانصياع لأمره حينما ولاه محمد بن علي وابنه ابراهيم الامام عليهم وألزمهم السمع والطاعة فقتلهم، وكذلك قتل كبير الدعاة أبي سلمة الخلال الذي لعب دوراً كبيراً في نجاح الثورة العباسية وكان في الواقع الذراع المالي والاقتصادي للدعوة العباسية. وعليه فليس عجباً أن نقرأ في التاريخ: إنه حينما حجّ أبو مسلم كان أهل البادية يفرّون منه كلما مرّ عليهم لأنهم سمعوا الكثير عن سفكه للدماء ، وللحقيقة فقد بذل أبي مسلم جهوداً جبارة في نشر وتبليغ الدعوة العباسية وقد كان محبوباً من الجميع حتى اتساع وإصرار عجيب ومقدرة كاملة من إشعال فتيل الثورة العباسية وانتصر على الوالي الاموي نصر بن سيار الذي هرب منه واستولى على بلاد خراسان وما جاورها وأنزل (يحيى بن زيد) فكفّنه وصلى عليه ودفنه وأمر الناس بقيام مجالس النياحة والبكاء عليه وسمى جميع من ولد في ذلك العام باسم يحيى. هذه هي النشأة ، أما الأساليب المتبعة في نشر هذه الدعوة فهي:

الإسلوب الأول:

حاول بني العباس ودعاتهم إقناع الناس بأن الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت (عليهم السلام) الذين تعرضوا للظلم والاضطهاد وأرقت دماؤهم في سبيل الحق، فرفعوا شعار (الرضا من آل محمد) الذي تفاعل الناس معه وحقق نجاحاً باهراً وخصوصاً في البلاد التي كانت تلاقى البؤس والحرمان والاضطهاد.

وكان هذا الاسلوب يشكل سرقة لجهود الأئمة (عليهم السلام) حيث وظفوه لصالحهم في الاوساط غير الواعية لطبيعة الصراع.

الإسلوب الثاني:

إطلاق النبؤات الغيبية التي كانت تكشف عن احداث مستقبلية، وكان لهذا الاسلوب الماكر الأثر الكبير في خداع البسطاء وكسبهم والاندفاع الشديد للانضمام للدعوة، فمن تلك النبؤات: أن(ع) ابن(ع) ابن(ع) سيقتل(م) ابن(م) ابن(م) ثم تأولوا ذلك أن المراد بالأول هو عبد الله بن علي بن عباس والثاني هم مروان بن محمد بن مروان ، كما أشاعوا أن النبي محمد (ص) كان يبشر بدولة هاشمية وقال لعنه العباس: إنها ستكون في ولدك، وكان يدعون أن لديهم كتيباً تؤكد انتقال الخلافة إليهم لكن لايجوز إخراجها وكشفها لكل الناس وإنما يطلع عليها النقباء وخواصهم مما زاد الدعوة تقديساً لدعوتهم وازدادوا اندفاعاً لهم.

الإسلوب الثالث:

أستخدم العباسيون أسلوباً لم يكن مألوفاً من قبل حيث استطاعوا بواسطته أن يكسبوا الجولة ويوظفوا الجهود والقناعات المختلفة نحو هدف واحد وهو أنهم كانوا يتشددون في إخفاء أسم الخليفة الذي يدعون إليه، فالتزموا بكتمان أمره ووعدوا الناس بأن لا يمكن إظهار اسم الخليفة إلا بعد زوال حكم الامويين حيث يُعلن اسمه الذي تعرفه النقباء والقادة.

الإسلوب الرابع:

هو لبس السواد حيث كانوا يرمزون به محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألم لأهل البيت (عليهم السلام) وشهداءهم. وكان لهذا الشعار وقع بالغ في النفوس.

فلقد أرسل ابراهيم الامام لواءً يدعى الظلُّ أو السحاب على رمح طويل طوله ثلاثة عشر ذراعاً وكتب الى ابي مسلم. أني قد بعثتُ اليك براءة النصر وأولوا ذلك أن إن السحاب يطبق الارض كما إن الأرض لاتخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسي.

اجتماع الأبناء:

لقد أدرك العباسيون إن لا سبيل لنجاحهم في استلام السلطة ومنافسهم الحقيقيون هم أهل البيت بالوجود الذين كانوا يخشون منهم أشد الخشية، لذلك عمدوا الى عقد اجتماع موسّع يضمُّ بني العباس والعلويين الهدف منه احتواء الخط العلوي وزجّه في المعترك السياسي. وكان ابراهيم الامام واخوته يدركون جيداً أن الامام الصادق (عليه السلام) يدرك جيداً ماذا تسير إليه الامور. وما هو الهدف الحقيقي من وراء هذا الاجتماع. لذا عمدوا الى شق البيت العلوي وإغراء آل الحسن بأن تكون الخلافة لهم، ففي عام (١٢٨) هجري وفي منطقة الأبناء حضر ابراهيم وأخوته أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور وعمهم صالح بن علي وعبد الله بن الحسن بن الحسن المثنى وإبنه محمد ذي النفس الزكية وابراهيم وغيرهم وتمخّض الاجتماع عن انتخاب محمد ذي النفس الزكية خليفة عليهم فبايعوه جميعاً ومسح على يده كل من ابراهيم الامام والسفاح والمنصور وكل من حضر الاجتماع، ولتكتمل اللعبة أرسلوا خلف الامام الصادق (عليه السلام) ليعلموه النتيجة ويطلبوا منه مبايعة الخليفة الجديد وحينما عارض الامام الصادق (عليه السلام) ذلك اجابه عبد الله بن الحسن: يحملك على هذا الحسد لأبني، وأجابه الامام (عليه السلام): ((والله لا يحملني ذلك ولكن هذا واخوته وأبناءهم دونكم)) وضرب بيده على ظهر أبو العباس السفاح، ثم قال لعبد الله: ((أن صاحب الداء الاصفر - يقصد المنصور - يقتله)). وفي رواية: بعدما تصير له الخلافة فلحقه المنصور وقال له: تتم الخلافة لي؟ فقال(عليه السلام):((نعم ما أقوله حقاً)).

ولم تطل أيام ابراهيم الامام طويلاً بعد هذا الاجتماع وحينما اندلعت الثورة لعباسية بقيادة ابي مسلم في خراسان وعرف الخليفة الاموي مروان بأن وائها ابراهيم أمر اتباعه بالقبض عليه فأرسلوه الى دمشق مكتوفاً فقتله مروان في حران سنة(١٢٩) هجري ولكنه قبل قتله أمر اخيه أبو العباس بالارتحال عن الحُميمة والذهاب الى الكوفة لوجود القاعدة العباسية هناك وكلفه بمسؤولية الأمر من بعده، وعند وصولهم استقبلهم ابو سلمة الخلال الذي كان يُعرف بوزير آل محمد وأخلى لهم داراً وتولى خدمتهم بنفسه وتكتم على امرهم.

كان الخلال يريد صرف الخلافة لآل علي ولكنه غلب على امره حين فاجأته جيوش أبي مسلم الخراساني وهي تدخل الكوفة وظهر أمر بني العباس بإخراج السفاح الى المسجد وبايعوه بالخلافة يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول سنة (١٣٢) هجري ثم أرسل قواته بقيادة عمّه عبد الله بن علي بن عباس لقتال مروان الحمار الذي انكسر أمامها ولاحقته الجيوش العباسية من بلدة الى بلدة أخرى حتى حاصروه في مصر في قرية يقال لها (بوصير) من قرى صعيد مصر وقتله شر قتله، وبقتله سقطت الدولة الاموية وقامت الدولة العباسية فلا أسف على التي سقطت ولا فرح بالتي قامت.

المصدر: ابن كثير، البداية والنهاية .